إلى القول بأن إبراهيم عليه السلام هو المتفرد بالبناء ولا مدخلية لإسمعيل فيه أصلا بناء على ما روى عن علي كرم ا تعالى وجهه أنه كان إذ ذاك طفلا صغيرا والصحيح أن الأثر غير صحيح هذا وقد ذكر أهل الأخبار في ماهية هذا البيت وقدمه وحدوثه ومن أي شيء كان باباه وكم مرة حجه آدم ومن أي شيء بناه إبراهيم ومن ساعده على بنائه ومن أين أتى بالحجر الأسود أشياء لم يتضمنها القرآن العظيم ولا الحديث الصحيح وبعضها يناقض بعضا وذلك على عادتهم في نقل مأدب ودرج ومن مشهور ذلك أن الكعبة أنزلت من السماء في زمان آدم ولها بابان إلى المشرق والمغرب فحج آدم من أرض الهند وأستقبلته الملائكة أربعين فرسخا فطاف بالبيت ودخله ثم رفعت في زمن طوفان نوح عليه السلام إلى السماء ثم أنزلت مرة أخرى في زمن إبراهيم فزارها ورفع قواعدها وجعل بابيها بابا واحدا ثم تمخض أبو قبيس فأنشق عن الحجر الأسود وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة نزل بها جبريل فخبئت في زمان الطوفان إلى زمن إبراهيم فوضعه إبراهيم مكانه ثم أسود بملامسة النساء الحيض وهذا الخبر وأمثاله إن صحعند أهل ا تعالىإشارات ورموز لمن ألقى السمع وهو شهيد فنزولها في زمن آدم عليه السلام إشارة إلى ظهور عالم المبدأ والمعاد ومعرفة عالم النور وعالم الظلمة في زمانه دون عالم التوحيد وقصده زيارتها من أرض الهند إشارة إلى توجهه بالتكوين والإعتدال من عالم الطبيعة الجسمانية المظلمة إلى مقام القلب وإستقبال الملائكة إشارة إلى تعلق القوى النباتية والحيوانية بالبدن وظهور آثارها فيه قبل آثار القلب في الأربعين التي تكونت فيها إبنتيه وتخمرت طينته أو توجهه بالسير والسلوك من عالم النفس الظلمائي إلى مقام القلب وإستقبال الملائكة تلقى القوى النفسانية والبدنية إياه بقبول الآداب والأخلاق الجميلة والملكات الفاضلة والتمرن والتنقل في المقامات قبل وصوله إلى مقام القلب وطوافه بالبيت إشارة إلى وصوله إلى مقام القلب وسلوكه فيه مع التلوين ودخوله إشارة إلى تمكينه وإستقامته فيه ورفعه في زمن الطوفان إلى السماء إشارة إلى إحتجاب الناس بغلبة الهوى وطوفان الجهل في زمن نوح عن مقام القلب وبقاؤه في السماء إلى البيت المعمور الذي هو قلب العالم ونزوله مرة أخرى في زمان إبراهيم إشارة إلى إهتداء الناس في زمانه إلى مقام القلب بهدايته ورفع إبراهيم قواعده وجعله ذا باب واحد إشارة إلى ترقي القلب إلى مقام التوحيد إذ هو أول من أظهر التوحيد الذاتي المشار إليه بقوله تعالى حكاية عنه : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين والحجر الأسود إشارة إلى الروح التي هي أمر ا عز شأنه ويمينه وموضع سره وتمخض أبي قبيس وإنشقاقه عنه إشارة إلى

ظهوره بالرياضة وتحرك آلات البدن بإستعمالها في التفكر والتعبد في طلب ظهوره ولهذا قيل : خبئت أي أحتجبت بالبدن وأسوداده بملامسة الحيض إشارة إلى تكدره بغلبة القوى النفسانية على القلب وإستيلائها عليه وتسويدها الوجه النوراني الذي يلي الروح منه .

ولو ترك القطا ليلا لناما .

ربنا تقبل منآ أي يقولان ربنا وبه قرأ أبي والجملة حال من فاعل يرفع وقيل : معطوفة على ما قبله بجعل القول متعلقا ل إذ والتقبل مجاز عن الإثابة والرضا لأن كل عمل يقبله ا تعالى فهو يثيب صاحبه ويرضاه منه وفي سؤال الثواب على العمل دليل على أن ترتبه عليه ليس واجبا وإلا لم يطلب وفي إختيار صيغة التفعل إعتراف بالقصور لما فيه من الأشعار بالتكلف في القبول وإن كان التقبل والقبول بالنسبة إليه تعالى على السواء إذ لا يمكن تعقل التكلف في شأنه عز شأنه ويمكن أن يكون المراد من التقبل الرضا فقط دون الإثابة لأن غاية ما يقصده المخلصون من الخدم